د . محمد العربي ولد خليفه

التعريب واصلاح الجامعة

لا اطمع في هذه الكلمة الى تقديم دراسة موثقة في فقه اللغة واسرار البيان العربي وامكانياته غير المحدودة في الاستيعاب والمطاوعة، فكل ما آمله هو تقديم تصورات مبدئية عن قضايا العربية والتعريب من واقع تجربتنا الجريئة في تعريب واصلاح التعليم العالي بالجزائر وخاصة الدراسات المتعلقة بالتكوين العقائدي وذات الصلة بشخصيتنا القومية وانتمائنا الحضاري كما هو الشان في كليات الاداب والحقوق والاقتصاد والعلوم السياسية الخ ..

وقبل ذلك يحسن ان نضع في اعتبارنا بضعة ملاحظات اساسية :

١ ـ ان تقدم لغتنا وازدهارها لا يمكن ان يتم بمعزل عن تطور الوطن العربي كله فلا يمكن أن نتهم لغة بالعجز والتقصير الا اذا اتهم اهلها قبل ذلك بالضعف والتاخر . ان اعظم خدمة تقدم الى لغة الضاد لهي القضاء على منافسة اللغات الاجنبية لها وخاصة تلك التي سادت ايام المستعمر ـ في ميدان التعليم وفي مختلف مراحله من الحضانة الى الجامعة وفي شتى ميادينه ابتداء بالعلوم والثقافة وانتهاء بالبحث والابداع . قد تتعثر اللغة في بادىء الامر ولكنها لا تلبث ان يستقيم لها الامر وتنهض بمهامها على اكمل وجه كما برهنت على ذلك في عصورها الزاهرة . ان لغات اصغر منها عمرا وافقر زادا توفرت لقومها العزيمة ورباطة الجاش والعزة القومية قد اقتحمت ميادين لم تعهدها من قبل واعطت الدليل القاطع على ان القوة والضعف هي من خصائص البشر لا من خصائص الاداة اللغوية ذاتها .

ولا ينبغي ان يفهم من هذا الدعوة الى نبذ اللغات الاجنبية وطرحها تماما فلا ضير مطلقا من تقويتها والالمام باكبر عدد منها وخاصة في مستوى التعليم الجامعي شريطة ان تكون سيادة اللغة الوطنية كاملة غير منقوصة .

٢ ـ ان الثروة الحقيقية والدائمة لاية امة هي شبابها ، ولا تقاس هذه الثروة بالعدد ومستوى الخبرة بقدر ما تقاس بدرجة الوعي واصالة الانتماء القومي ومستوى الالتزام الثوري . وتعتبر بلادنا العربية في مقدمة البلدان الفتية بشريا ففي الجزائر مثلا اكثر من نصف السكان يقعون في فئة العمر الاقل من ٣٠ سنة (٥٦ ٪ حسب احصاءات ١٩٦٦) وتكشف توقعات كتابة الدولة الجزائرية للتخطيط على ان فئة العمر ما بين ١٤ ـ ١٩ سنة ستتزايد في العشر سنوات القادمة بالشكل التالي :ـ

١٩٧٥	١٣٨٨٠٠٠
١٩٨٠	١٧٨٩٠٠٠
١٩٨٥	١٨٥٤٠٠٠

وهذه الطلائع التي تتاهب لاستلام المشعل في حاجة الى ان تنهل من مورد صاف يعزز انتماءها القومي ويحميها من الانقلابات التي تنهشها من كل جانب وتلح بشراسة على التسلل الى عقولها وقلوبها لتفتك بها من حيث لا تشعر ، ولذلك ينبغي ان لا تطرح قضايا التعريب خارج اللغة ومضمونها باعتبارهما وحدة لا تنفصم .

ان اللغة موصل للفكر والشعور وبصمات ظاهرة يتركها العقل اثناء نشاطه وفي حواره المستمر مع ذاته ومع غيره ، ذلك الحوار الذي يجعله في اشتباك مع اطراف المجهول في كل شيء . واللغة بهذا المعنى تلتصق بالفكر وتلتحم بالشعور هي فيوضات تحمل خصائص الاصل حتى كانها هذا الاصل ذاته . انها اشبه بالدورة الدموية التي تغمر الجسم كله تحمل الحركة والحياة ولا يمكن فصلها عن ذات الفرد الا اذا اصبح جثة خامدة . فمن السهل ان ندرك أن اللغة في تدرجها من التعبير البسيط عن شؤوننا وشجوننا الى التعبير الفني الذي يكتسبه الخاصة من الناس بالدربة والمران انما هي الوعاء والمحتوى في آن واحد فهي تحمل في طياتها سمات الفرد وملامح شخصيته ومجموع انتماءاته الثقافية والحضارية ، ولهذا السبب ينبغي ان تعتبر اللغة ثروة قومية تتغذى منها الاجيال وتحفظ وحدة الامة وتماسكها وتضمن لها الاستمرار في الزمن .

٣ ـ لقد ترك الاستعمار في بلداننا جروحا غائرة لا تزال اثارها بادية في النفوس والعقول تظهر احيانا في صورة عادات سلوكية واحيانا اخرى في صورة انماط من التفكير والقيم التي نزن بها انفسنا وننظر بها الى ماضينا وحاضرنا ولا بد لكي نضمن لتجربة التعريب النجاح ان نهز هذه المفاهيم السلبية من جذورها لان تجاهلها او تبرير وجودها سيضاعف من فتكها وتغلغلها في عقول ناشئتنا . لقد خلف فينا الاستعمار تركة ثقيلة تدعو الى التواكل والانبهار بلغته وتوحي الينا باقتفاء اثاره وتلقننا العجز عن الابداع والنقص في كل شيء .

وقد عرفت الجزائر في هذا الميدان ظروفا خاصة ، فقد تعرض شعبنا طوال قرن وثلث لاضطهاد ونفي منظم قلما شهد التاريخ له مثيلا،

فقد عمد الاستعماريون في بداية الامر الى ابادة الجزائريين تدفعهم الى ذلك احقاد صليبية وثارات دفينة ، وعندما عجزوا عن ذلك التجأوا الى محاولات المسخ ومحو مقومات الشعب ، وفي هذا المعنى يقول للاميرال « فيدون » في خطاب توجه به الى الاباء البيض سنة ١٨٧١ « انكم اذا سعيتم الى استمالة الاهالي بواسطة التعليم وبواسطة ما اسديتم اليهم من أحسان قدمتم بعملكم هذا خدمة جليلة للبلاد الفرنسية، فليس في وسع فرنسا ان تنجب من الابناء ما يكفي حتى تعمر بهم الجزائر ، وصار من اللازم ان يستعاض عنهم بفرنسه مليونين من البرابرة الخاضعين لسلطاتنا ، واصلوا عملكم بحكمة ودربة وحيطة ، لكم مني التاييد وفي امكانكم ان تعتمدوا على « مجلة العاملين ـ باريس ١٩٢٥ » اذن فقد ادرك الاستعمار ان الغزو المسلح لا يؤتي اكله الا اذا سدد ضربة قاضية لشخصية الامة فانكر وجودها وسحق تراثها وحرمها من اعز ما تميز به وهو لسانها ولتحقيق ذلك عمد المحتلون الى عملية مزدوجة : احتواء لكل ما هو اصيل في شخصيتنا والغاء صارم لمقومات وجودنا . احتواء يخضع الفرد ويسلبه ذاته ثم يضع على وجهه مساحيق تتركه في منتصف الطريق بين جزائريته واوروبية المستعمر فهو ممزق بين ذاتية تسلب منه بالخداع والبطش وبهرج زائف يقدم اليه قصد التعرية والتشويه .

ولم يكن بد من ان تواجه هذه العملية بردود فعل غريزية فالتجات جماهيرنا المضطهدة الى آلياتها الدفاعية فتمسكت بكل ما هو مضاد لثقافة المستعمر ومفاهيمه وتحصنت في قلعة الماضي ، فكل ما هو قديم اي سابق للغزو الاستعماري فيه الخير والبركة وكل ما هو من فعل الاستعمار خبيث ومريب ، ان الريفي القابع في كوخه المعلق على قمة الجبل يفضل زيارة ضريح او تقديم نذر او زيارة طبيب شعبي يفضل كل ذلك على زيادة عيادة طبية حديثة يديرها اجنبي فيفحصه رومي هو عدو قبل ان يكون طبيبا ، وهو يفعل ذلك لا لانه ينكر فضل الطب الحديث وايادية البيضاء ولكنها آلية الدفاع الوحيد والممكنة التي يواجه بها المحتل الدخيل . وهذا الريفي نفسه يقود ابنه الى الكتاتيب والزوايا ويحيط ذلك بجو من التقديس لا لانه ينكر فضل التعليم والتربية الحديثة ولكن لانه يتجاهل المستعمر ويرفض لغته واساليبه التربوية جملة وتفصيلا ، وقد كانت هذه الآليات الدفاعية هي الذخيرة التي حولتها ثورة فاتح نوفمبر الى آليات هجومية اطاحت باشرس احتلال عرفته الشعوب وحققت معجزة العرب في هذا القرن فقد كانت لهم عزا وفخرا وهي اليوم لهم ذخر وسند .

اذا عدنا الان الى واقع التجربة الجزائرية في تعريب واصلاح الجامعة وجب ان نستحضر الملاحظات السابقة ، فان بلادنا لم تجد غداة الاستقلال سوى هيكل غريب وطفيلي يعيش على هامش الثورة ويرفض التجاوب معها والانتماء الى اختياراتها المبدأية وفي مقدمتها التعريب ، وقد كان ذلك متوقعا فطوال العهد الاستعماري كان الحرم الجامعي محرما على الجزائريين توضع لمن يحلم باقتحامه حواجز وموانع تبدأ من المراحل السابقة للتعليم . وعندما اعلن اتحاد الطلاب المسلمين الجزائريين قرار الاضراب ومقاطعة الدروس لم يبق بالجامعة الا زبانية المنظمة الارهابية الفرنسية الذين اجهزوا قبل الاستقلال على مكتبة الجامعة وخلفوها وراءهم طعما للنيران ، ولكن ذلك لم يفت في عضد ثورتنا فشرعت قيادة الثورة منذ ١٩٦٥ في هز هذا الكيان الغريب فاعلن الاخ / هواري بومدين رئيس مجلس قيادة الثورة انه آن الاوان ان تخلع الجامعة هذا الحجاب الذي يلفها ليرى الشعب باكمله ما خلف هذا الحجاب وقد كانت هذه الصيحة بداية العمل الثوري الذي ما زال متواصلا الى اليوم .

ان هذه الجامعة التي يؤمها الالاف من فلذات اكبادنا كانت تسير بقوانين عتيقة ويشرف على عدد كبير من اقسامها متعاونون اجانب من الذين تنفصهم الكفاءة وصدق النوايا تبعثهم في الغالب فرنسا لتتمة خدمتهم المدنية ولذلك كان همهم الاول والاخير هو اعداد بحوثهم وتعلم الحجامة نمن رؤوس اليتامى كما يقول المثل عندنا .

وقد بلغ التعطيس والنزق ببعض هؤلاء ان اصبحت محاضراتهم مناير للنيل من اختيارات ثورتنا ومقومات شخصيتنا حتى سولت لهم انفسهم استدعاء لجان كاملة من فرنسة لاجراء امتحان شفوي في السنة الاولى من الاجازة لطالب اجنبي وافد من وراء البحر . بينما كان الجزائري غريب اليد واللسان في عقر داره .

وقد اخذت القيادة الثورية على عاتقها تقويض دعائم هذا الهيكل الغريب وتشييد من جديد فاقتحمت الثورة رحاب الجامعة وبدات تعمل على ثلاث جهات وفي آن واحد .

أ ـ ترويض كيان الجامعة ووضعها في سياق الثورة فالجامعة اما ان تستلهم واقع الشعب وتعمل لتحقيق مطامحه واما ان تزول تماما . وهكذا فتحت الجامعة ابوابها لابناء العمال والفلاحين ينهلون العلم في مدرجاتها واتيحت الفرصة لمن اعاقتهم مشاركتهم في حرب التحرير من معطوبين وفدائيين ومناضلين وغيرهم من فئات الشعب المحرومة فاقبلوا على استكمال تعليمهم وتكوينهم وقضى نهائيا على جامعة النخبة المحظوظة التي تتنكر لواقع الشعب وتتفوقع في غشاوة العزلة والاستلاب . فالجامعة بهذا المعنى قطاع من قطاعات التمويل والاستثمار عليه ان يوفر للثورة ما تحتاجه من خطط وعقول وثقافة بطريقة اجرائية تصدق عليها قوانين الاقتصاد الاشتراكي : « على قدر الجهد يكون الجزاء » وكما افصحت عنه الاية الكريمة بابلغ تعبير « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

ب ـ / جزاره اطار التعليم العلمي وتكوينه ، فقد انى على جامعتنا في الجزائر حين طويل من الدهر كانت فيه تعيش على ما يأتيها من مدد من وراء البحر ، وكثيرا ما يفد اليها مدرسون غير اكفاء مهنيا وغير مستعدين للتوافق مع واقعنا الثقافي والاجتماعي ، فكان المردود ضئيلا والمضمون هزيلا ولذلك ارتات الثورة ان تعتمد على امكانياتها الذاتية اولا فتجد في تكوين المدرسين في الميدان الا عند الضرورة القصوى ، فوضعت خطة مدروسة للتكوين واعادة التكوين المستمر بحيث تتاح الفرصة للمدرس بعد كل سنتين او ثلاث سنوات فيتفرغ للبحث ويستكمل تكوينه على ما يجري في شتى انحاء العالم وبذلك اصبح دخول الجامعة بداية لا نهاية ، ولم تعد الشهادات العليا رخصا للتقاعد بل اصبحت حافزا للبحث والتعمق في الحقائق الوطنية .

ولهذا الغرض نفسه شرع منذ سنتين في تحويل الكليات التقليدية الى معاهد وظيفية يعمل فيها الاساتذة والطلاب جنبا الى جنب في خدمة مخططات التنمية الجهوية والعامة ، ففي جامعة قسنطينه مثلا اخذت معاهد الهندسة والثقافة والفلاحة على عاتقها بناء عدد من السدود وتشجير الاف الهكتارات والمساهمة في مصانع الجرارات والحديد والصلب كما شرع في جامعات ولائية تختص بمعاهد تلبي حاجات التنمية الجهوية في نطاق المخطط الوطني الشامل للتنمية وقد بدأ بعضها في العمل مثل معهد الفلاحة في مستغانم ومعهد العلوم الصحيحة في تلمسان .

وبعد ان كان عدد الاساتذة الجزائريين في مختلف الاختصاصات يقل عن ثلث عدد الاساتذة الاجانب اصبحت اليوم اقسام باكملها تسير فنيا وتربويا من طرف اطار وطني وبعد ان كان عدد الطلاب لا يتجاوز بضعة مئات اصبحوا اليوم يتجاوزون ٣٨ الفا يتقاضون منحا من الدولة اذا كانوا لا يتعاطون عملا ويعرفون سلفا اين وكيف سيعملون لانهم

قضوا في الغالب فترات تدريب ضمن برامج الدراسة في نفس الميدان.

* * *

لقد واكب التعريب كل العمليات السابقة فقد كان الهدف الاول من اصلاح التعليم العالي هو الوصول الى خلق جامعة مندمجة في حياتنا الاجتماعية ومتوافقة مع مطامحنا في تنمية منزنة وسريعة وتربة خصبة تزدهر فيها شخصيتنا القومية وتتاصل لغتنا وتصقل قيمنا العربية الاسلامية .

فبعد ان كانت العربية محاصرة ومنزوية تدرس في قسم اللغات الاجنبية وتوضع احيانا في درجة اقل من اللغة الاسبانية او البرتغالية يدرس البعض عاميتها (بصيغة انجمع) لتمزيق وحدة شعبنا ويدرس البعض الاخر ترجمات لها من الفرنسية على طريقة المستشرق بيرز الذي جعل من جامعة الجزائر مقر قيادته انعامة ومن قسم اللغة العربية غرفة عملياته ، اقول بعد ذلك اصبح هذا القسم دائرة من اكبر دوائر كلية الاداب يمتد نشاطه الى سائر الكليات والاقسام الاخرى ، فقد انيط بهذه الدائرة تنفيذ التعريب في الجامعة باكملها .

واني لاذكر ذلك اليوم الذي تقدمت فيه رئيسة قسم اللغة الفرنسية بعريضة احتجاج واستقالة وهي ترغي وتزبد وتستفيث ضد القرار الثوري الذي يقضي بوضع الدائرة التي كانت تشرف عليها في مكانها الصحيح اي تحويلها الى فرع من دائرة اللغات الاجنبية لا اكثر .

وقد تواصلت هذه الانطلاقة في اتجاهين متوازيين :

الاتجاه الاول : تعريب الاقسام والمعاهد التي تختص بالتكوين العقائدي والوطني فعربت اقسام الفلسفة والتاريخ والجغرافية والصحافة وعلوم النفس والتربية والاجتماع والقانون والتجارة وغيرها وان بقيت بعض التخصصات فيها تدرس باللغة الاجنبية نظرا لقلة الاطارات ومصاعب الانتقال من لغة الى اخرى ، ولحل هذه المشكلة عمدت الجامعة الى ارسال اساتذتها الى جامعات البلدان الشقيقة ليقضوا فترات تدريبية تتراوح بين ثلاثة اشهر وستة اشهر قابلة للتجديد ،وقد عاد البعض منهم واستانف التدريس باللغة العربية كما استقدمت من الجامعات العربية الشقيقة عدة بعثات من اساتذة الاداب والعلوم والثقافة للتكوين في عين المكان وقد ساهم هؤلاء الاساتذة بجهد كبير في تعريب بعض الاقسام مثل علوم الاحياء والعلوم الحقة والحقوق .

وفي كلية الاداب وحدها يوجد الان حوالي « ٦٠٠ » مسجل في مختلف الدراسات من الدبلوم الى دكتوراه التخصص ، بينهم اكثر من ٤٠٠ يجرون بحوثهم باللغة الوطنية .

وبقي علينا الان ان نتغلب على مشكلة الثنائية ، اي استخدام اللغة الاجنبية بجانب اللغة الوطنية في تدريس بعض التخصصات حتى نتقي مغبة الفصام النفسي والفكري بين طلاب ينتمون لثقافة واحدة ويستعدون للعمل في مجتمع واحد ، وسوف يتحقق ذلك تلقائيا قبل نهاية السبعينات عندما يتم تعريب التعليم الثانوي نهائيا اي عندما يستكمل تعريب الثلث الباقي في الشعب العلمية والرياضية في المدارس الثانوية . وعلى الرغم من ذلك فقد قام معهد العلوم الصحيحة والثقافية بتجربة رائدة فانشأ قسما معربا لتدريس الرياضيات والطبيعة والكمياء وقد احتفلنا في الموسم الماضي باول دفعة من خريجيه وقد بدات هذه التجربة بامكانيات ضئيلة جدا ولكنها شقت طريقها بقدم راسخة وسوف تشجعنا هذه التجربة على تعريب الاقسام الاخرى المشابهة .

اما الاتجاه الثاني : فهو تعميم تعليم اللغة العربية في جميع الاقسام التي ما زالت تستخدم اللغة الاجنبية في التدريس مثل الاقسام الثنائية التي اشرنا اليها سابقا ومعهد العلوم الطبية وغير ذلك من المعاهد فلا يمكن ان يحصل الطالب على اجازته مهما كان تفوقه الا اذا نجح في امتحان المستوى الثالث في اللغة العربية واصبح قادرا على استخدامها قراءة وكتابة وقد طبق هذا الاجراء بكل صرامة فبقي عدد من الطلاب يترددون على الجامعة بعد تخرجهم ونجاحهم في كل المواد في الطب والهندسة والعلوم القانونية والاقتصادية حتى نجحوا في الحصول على المستوى الثالث ، وعندئذ فقط تسلموا شهادات النجاح والتخرج .

فاذا بقيت على الرغم من ذلك ثغرات في التحصيل تولت الخدمة الوطنية ما تبقى حيث يتلقى المتخرج اثناء خدمته العسكرية والمدنية دروسا في اللغة وفي الحقائق الوطنية من تاريخ ومجتمع وسياسة ويعتبر ذلك جزءا من واجباته العادية .

ولم نكتف بذلك بل شجعنا الطلبة على اختيار مواد او مقاييس يدرسونها مباشرة بالعربية بالاضافة الى دروس اللغة العربية المادية وقد طبقت هذه الطريقة فعلا في علوم الاجتماع والنفس والتربية، وكلما اتجه الطلاب الى اختيار مادة لدراستها باللغة الوطنية الفي حالا تدريسها باللغة الاجنبية ، وهذا ما حدث فعلا في قسمي علم النفس والتربية ، ونامل ان تحل بهذه الطريقة مشكلة الثنائية التي اشرنا اليها .

ولم تشذ عن هذه القاعدة الاقسام التي تختص بتدريس اللغات الاجنبية ، فبالاضافة الى الدروس العادية التي يتلقاها طلاب هذه الاقسام في اللغة العربية بمعدل ثلاث ساعات اسبوعية يدرسون (مطالب أو مقاييس) باللغة الوطنية مثل علم الاجتماع الحضاري وتاريخ الجزائر والوطن العربي كما اضيف الى قائمة اللغات الاجنبية المعروفة لغات اخرى لا تقل عنها اهمية بالنسبة لبلادنا مثل اللغة السواحلية والصينية والروسية التي اصبحت لها اقسام قائمة الذات مثل اقسام اللغة الانجليزية والفرنسية والايطالية .

* * *

هذه نظرة خاطفة عن وجه من اوجه المعركة المتعددة الجبهات التي تخوضها الجزائر ، فالجامعة في نظرنا ينبغي ان تكون مؤسسة في خدمة الاهداف العليا للثورة لا كهفا للكهنة او ديرا للرهبنة يتعاطى فيه الناس طقوسا وشعائر تسجنهم في قمقم من الاكاديمية المزعومة التي تجعلهم في عزلة عن واقع شعبهم يعيشون بين ظهرانيه متأففين ساخطين في انتظار الاجازات التي يقضونها في لندن وباريس.

ان الجامعة في الجزائر ليست برجا عاجيا بل هي واحدة من المؤسسات الاشتراكية يسيرها العاملون فيها بما فيهم من طلبة وعمال وموظفين واساتذة ، ولذلك فهي مطالبة بأن تخرج الى الميدان وتحتك بالواقع وتلمس منه الحقائق ، ولا ريب ان اولى هذه الحقائق واكثرها بداهة ذلك الثمن الباهظ الذي قدمه شعبنا للدفاع عن عروبته والذود عن ارومته والبرهنة بحد السلاح على انتمائه الى ثقافة وحضارة حملت الى العالم اسمى واخلد ما عرفه من تعاليم ومبادىء تضمنتها دللت عليها وقائع تاريخنا العربي الاسلامي المجيد .

ولعله من المفيد الان ان نخرج بعد هذه الصورة السريعة ببعض القضايا ولا اقول اقتراحات لان جمعنا الموقر ليس في حاجة الى الوعظ والتوصية بقدر ما هو في حاجة الى التآزر المثمر في جميع

الميادين .

١ ـ لا يمكن ان نتحدث عن التعريب الا باعتباره مظهرا من مظاهر الثورة الثقافية يتجاوز تعريب اليد واللسان الى تعريب العقل والقلب، وهو امر لا يتحقق خارج الثورة السياسية بجميع ابعادها الاقتصادية والاجتماعية والفكرية وهذه الثورة لا تعني مجرد الانتقال من وضع الى اخر بل تعني تغييرا في مضمون العلاقات ومجالها ،في الفكر والسلوك ، في داخل الانسان نفسه .

٢ ـ ان اللغة وعاء التراث ولا يمكن فصلها عن مضمونه ، ولا شك ان اعظم خدمة نقدمها للغتنا العربية هي خدمة هذا التراث ولا يمكن فصلها عن مضمونه ، ولا شك ان اعظم خدمة نقدمها للغتنا العربية هي خدمة هذا التراث بالتشذيب والاضافة والتطوير وذلك ما فعله سلفنا الصالح فقد نقلوا كل ما صلت اليه ايديهم من كنوز الغير واطلعوا على خفاياه بشوق ولهفة حتى ان الخليفة المامون كان يقبل الكتب فدية لاسرى الروم ، لكن هذه المنقولات او المترجمات لم تكن سوى روافد تصب في بحيرة عظيمة لم تتمكن ابدا من تغيير لونها او طعمها فقد كانت تمر من مصفاة دقيقة هي الثقافة العربية الاسلامية وخصائص اللسان العربي ، وقد اعترف اعلام الفكر اذاك بقوة هذه الثقافة وسحر هذا اللسان .

ان لغتنا وثقافتنا لا تخشى الترجمة ونعرف تراث الغير ، ان الذي نخشاه وينبغي ان تتحاشاه هو الانبهار والانقياد العشوائي وراء البهرج والنعاليم الجاهزة وابتلاع تجارب الغير بالمحاكاة والتلقين . اقول ان لغتنا وثقافتنا لا تخشى الترجمة الواعية لانها في الواقع القناة التي تعبر خلالها الثقافات لتتفاعل وتلتقي عند حدودها لتتمازج تمازجا يخصب بذورها وينضج ثمارها . ان الفكر الذي لا ينفتح على ما حوله يكتب على نفسه الفناء ، فبالتطعيم والمقارنة يشتد عوده ويكتسب العمق والمناعة .

٣ ـ وفي ميدان البحث العلمي نحن في حاجة الى نمو ذاتي والى تصحيح نظرتنا عن التفتح الثقافي الذي لا يكون مفتحا حقا الا اذا اعطى بقدر ما يأخذ ، لان الاكتفاء بالاخذ مما هو جاهز عند غيرنا يجعلنا اكثر تخلفا في هذا الميدان مما كنا عليه في بداية هذا القرن .

وقد آن الاوان لننبه الى ان البحث العلمي لن يزدهر ويناضل الا اذا كانت مجتمعاتنا هي مخبره الحقيقي وثقافتنا الوطنية في امتدادها القومي هي مادته الاساسية واللغة العربية هي موصله الاول ودرعه الحصينة .

ان الباحثين الذين يشدون الرحال الى البلاد الاوروبية الامريكية لا يتلقون علما صرفا ومنهجا محايدا ابدا بل هم يتعرضون قبل ذلك الى تكييف ذهني وآستلاب نفسي وتعميد ايديولوجي وقد يقع البعض منهم صرعى الانبهار اذا لم يحصنوا في مجتمعهم الاصلي ولم يتشبعوا بخصائص ثقافتهم ولغتهم القومية .

اننا لا نستطيع الرد على التحدي الحضاري الذي يواجه امتنا العربية الا اذا قمنا بتنمية فكرية ذاتية على مستوى الوطن العربي كله.

محمد العربي ولد خليفة

رئيس قسم علم النفس ـ جامعة الجزائر

محمود درويش

محاولة رقم ٧

في مجموعته **الجديدة**

●

وينتشر البحر
بين السماء ومدخل جرحي
واذهب في افق ينحني
فوقنا
ويصلي لنا
او يكسرنا
هذه الارض تشبهنا
حين ناتي اليها
وتشبهنا
حين نذهب عنها .

●

آه !
ما اصفر الارض
ما اكبر الجرح !
آه ،
ما اكبر الارض
ما اصغر الجرح !

●

صدر حديثا